تحسين النسل

اتجاه اجتماعى جديد

يقول الحديث الشريف : " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " أى يجب على كل رجل أن ينظر إلى المرأة التى يرغب فى تزوجها : هل هى كفيلة بأن تعقب عقبا حسنا أم غير كفيلة ، وهذا هو مايسمى فى العصر الحديث بالنظر اليوجنى أى جعل النسل الحسن من أهم الأهداف التى يوجه إليها الزواج .

وقد شاعت لفظة "اليوجنية" قبل نحو أربعين سنة ، وكان وضعها ومذيعها السر فرنسيس جالتون أحد العلماء الانجليز . والمقصود من هذه اللفظة علم يراد بدراسته تحسين النسل حتى يخلو من الشوائب والعيوب الموروثة . وألفت الكتب وأسست المجلات لدرس هذا الموضوع وتأسست الجمعيات للدعوة إليه والعناية بما يثبت من فروضه ونظرياته .

وافتتح جالتون هـذا البحث بكتابه المشهور " العبقرية الوراثية " وقد تحرى فيه ذكر الأسر التى أنجبت أكبر عدد من العبقريين لكى يثبت أن كثيرا من الصفات الحسنة مثل كثير من الصفات السيئة — تورث ، وأننا يجب لهـذا السبب أن ندرس قوانين الوراثة لكى نعرف ونميز بين أثر الوراثة وأثر الوسط ونهتدى بالمعارف الجديدة عن الزواج فيما يمنح ويمنع .

والأساس الذى ينهض عليه علم اليوجنية هو الوراثة . فقد ثبت أن هنالك صفات تورث وتظهر ، وصفات أخرى تورث ولا تظهر إلا فى أعقاب بعيدة . ووضع اسم " الصفات السائدة " للأولى و " الصفات المتنحية " للثانيـة . وليست الوراثة مدروسة إلى الآن الدراسة الكاملة المقنعة . ولكن قد عرف منها " قانون مندل " وهو من أعظم المكتشفات العلمية الحديثة ، بل لعله من حيث قيمته الإنسانية يزيد على أى اكتشاف آخر فى مدى آلاف السنين المـاضية . لأنه فتح للإنسان كوة يطل منها على المستقبل ويتحكم به فى اختيار النسيج الحيوى لجسمه وعقله باستعجال التطور .

واليوجنية الآن إما سلبية وإما إيجابية ، فالسلبية تقول بتعقيم الناقصين الذين يثبت أن نقصهم وراثى أو يمنعهم من الزواج ، وقد يكون النقص عيبا جسميا أو ذهنيا . فالأمة التى تتسم قسمات وجهه بالسحنة المغولية تورث صفاته ، وهو لذلك حين يتزوج — سواء كان

رجلا أم امرأة — يعقب نسلا له هـذه الصفات التي تجعله عبئا على نفسه وعلى المجتمع ، وهناك عاهات وراثية تصيب البصر ، ومن الرحمة بالأبناء أن يمنع المصابون بها من الزواج أوعلى الأقل من التناسل . وهنا يجب أن نقول إن تعقيم الرجل أوالمرأة لمنع التناسل لايحول دون الزواج ، وهو يجرى الان فى أمم كثيرة مثل سويسرا وأسوج والمـانيا والولايات المتحدة الأمريكية ، و بعض الأمم تجعل التعقيم اختياريا و بعضها تجعله إجباريا .

ولكن الزواج لايجوز إلا بعد الكشف الطبي الذى يثبت براءة المقدمين عليه من عاهات وراثية أو أمراض يمكن أن تنتقل بالعدوى — وليس بالوراثة — إلى الأبناء .

وهنا يجب التمييز ، فإن بعض الأمراض — مثل السفلس والسيلان — تنتقل عدواها إلى الأبناء لمحض أن الجنين يتصل بأمه ، فتنتقل إليه عدوى المرض الذى تشكو منـه ، ولكن هذا الانتقال ليس وراثيا ، لأنه لايجرى على قوانين الوراثة ،والكشف عن الخطيبين قبل الزواج عند الأمم التي أخذت باليوجنية يقتضى بالطبع النظر فى الأمراض المعدية والأمراض الوراثية على السواء ، و يمنع الزواج قبل الشفاء من الأولى و يمنع بتاتا فى الحال الثانية .

هذا من حيث اليوجنية السلبية . أما اليوجنية الايجابية فتقتضى التشجيع على الزواج بين الاكفاء حتى يعقبوا أكبر عدد ممكن من الأبناء الذين تنتفع الأمة بكفاءتهم. وقد جرت المـانيا و إيطاليا حديثا على هذا المبدأ ، فكل من الحكومتين تقرض الخطيبين مبلغا من المـال لكى يتزوجا ، فاذا أعقب الزوجان أربعة أولاد ألغى القرض ، أما اذا لم يعقبا فإن عليهما رد المبلغ للحكومة ، وهذا بالطبع مع منع الناقصين من الزواج أو من التناسل .

وقد شاع تحديد النسل بظهور الوسائل العديدة لمنع الحمل ، فكان هـذا التشجيع على الزواج بعض المقاومة لهذا التحديد ، ومما تجب ملاحظته أن منع الحمل يشيع أكثر مايشيع بين الطبقات العالية التي تكثر تكاليفها ، و يقل أو ينعدم بتاتا بين الطبقات الفقيرة ،ولما كانت هذه الطبقات فى مجموعها أقل ذكاء فان هذه الحال تؤدى بالأمة إلى الانحطاط ، ومن هنا منشأ التشجيع على الزواج ، و إن كانت هناك أغراض أخرى مستترة أهمها زيادة السكان لزيادة عدد الجنود وقت الحرب .

والغريب أن الانسان عنى أكبر العناية بتأصيل الحيوان ، وهو يمنع التلاقح بين اثنين من ماشيته أو كلابه أو سائر أنواع الحيوان التي يربى الا اذا وثق بما لهما من خواص ممتازة ، ولكنه لايفكر فى ذلك عندما يتزوج ، حتى قال تيوجينيس الشاعر الاغريقى مامعناه "اننا نتحرى أجود الكباش والحمير والخيول للفحلة لأننا نعتقد أن الحسن انما ينحدر من الحسن ، ولكنا لانفعل ذلك مع الانسان" .

على أن اليوجنية — هـذا العلم الجديد — تحاول اصلاح هذا الخطأ ، فالزواج حق ، ولكنه محدود بمنع الضرر عن الأبناء . وهو يشجع اذا كان الزوجان ممتازين تحتاج الأمة الى صفاتهما فى أبنائها . واليوجنية تدرس الاجرام والتشرد والادمان والعاهات والذكاء والبلاهة لكى تعرف ماذا يعد من هـذه الصفات وراثيا وما يعزى منها الى البيئة ، فما كان وراثيا حقا ينظر فيه الى الزواج و يمنع أو يمنع الزوج بمقدار حاجة الأمة الى هذه الصفات أوضرورة تجنبها .

و إذا لم يمنع الزواج فليمنع التناسل بالتعقيم . ولكن مع أن البحث يستفيض و يتناوله كثير من العلماء فإنه ليست هناك إلى الآن آراء جازمة عن اليوجنية الا فى القليل جدا . أما سائر الابحاث فلا يزال الشك عاما فى الاستنتاجات التى انتهت اليها .

ونحن فى مصر قـد رأينا مناقشات حادة عن تحديد النسل وظهرت مطبوعات تبين الطرق لهذا المنع . كما أن الحكومة تفكر فى إيجاد نظام الكشف الطبى على المقدمين على الزواج فيحسن بنا أن ندرس موضوع اليوجنية ونسترشد بما يقوله علماؤها عنها وفى هـذا الصدد نذكر كتابا حديثا ظهر باسم " الوراثة وتحسين النسل " لمؤلفه الأستاذ حسين الأبيارى . فانه يتناول هـذه الموضوعات ببعض الاسهاب . والمؤلفات بل المجلات العلمية التى تعالج هذا الموضوع كثيرة فى اللغات الأوربية .

واعتقادنا أنه يجدر بكل شاب أن يتقدم للكشف الطبى قبل الزواج وأن يبين للطبيب غايته من هذا الكشف وهو لياقته للزواج فانه يحصل هنا على مشورة نيرة مفيدة يمكن أن تقيه كوارث لا حصر لها فى المستقبل . وليس فى الدنيا أشقى من ذلك الأب أو تلك الأم اللذين يريان طفلهما المريض بمرض قد انتقل إليه من أحدهما وكان يمكن وقايته منه بالكشف قبل الزواج ومعالجته .